بين الفرانكوأراب والنفور من العربية

دينا رأفت زايد

إنه شبح الفرانكوأراب الذى يخيم بظلامه الدامس على بيوت اللغة العربية، وينشر عناكبه فى أرجائها المهجورة،إذ رأى أن الجو مهيأ والفرصة سانحة، هجرها أهلوها وتناسوها وأطفأوا فيها الأنوار، فدخل كاللص يسرق حروفنا العربية الأصيلة شيئا فشيئا،وكالمستعمر يحتل ديارنا ليضع فيها أثاثاته البديلة التى لا ولن تصلح أبدا، فاذا هم يتخلون عن أثاثاتهم المسروقة التي ربما يغفلون عن مدى عظمتها وأصالتها و نفاستها، لينصاعوا لهذا الشبح، ويشيعوا جثامين حروفهم العربية، لتحيا محلها الحروف الانجليزية.

ولتتم عملية الاحتلال بنجاح,استعاضوا عن حروفهم التى لا نظير لها فى الانجليزية كالخاء والعين بأرقام أوروبية ظنا من سذاجتهم أنها تشبهها بعض الشئ.

ومما يزيد الأمر خطورة أن هذه الفكرة الدنيئة لسرقة الهوية العربية تنتشر أول ما تنتشر بين الشباب الذين هم أمل الأمة العربية ومستقبلها، ولأن استخدامها شائع على مواقع التواصل الاجتماعى كالفيس بوك، فإنه لابد أن تلتفت أنظارنا الى أنه لا شاب تقريبا فى هذه الأيام لا يستخدم الفيس بوك، بل إن الأطفال الصغار مذ يعون ويعقلون يستخدمونها، فهل سيظن الطفل الصغير الحروف الانجليزية التى يكتب بها ما ينطق من عربية فصحى كانت أو عامية هى حروف لغته العربية؟ وعند تعلمه للفصحى، هل ستكون الكتابة العربية أقرب إلى فهمه وأحب الى قلبه أم ذلك الشكل الكتابى الذى اعتاد استعماله؟! إن استعماله للكتابة العربية الصحيحة سيكون إجباريا عليه فى دراسته وامتحاناته ولكن ما دون ذلك سينفرد به الفرانكوأراب نظرا لتأثير الفيس بوك على حياة الجيل الجديد، إنه جيل أصبح فيه الفيس بوك وما شاكله جزءا كبيرا من حياتهم، والطامة الكبرى أن يخرج الفرانكوأراب من إطار استعماله



استعمالا فيسبوكيا الى استعماله بين الطلاب فى المدارس والجامعات، وفى الرسائل الهاتفية النصية ...الخ وماذا لو أصبح الجيل الجديد معلمى المستقبل؟! كيف سيعلمون اللغة العربية وهم لم يتعلموها من الأصل؟! إننا أمام مشكلة حقيقية تفرض نفسها أمام واقعنا اليومى، أين أنظار علماء اللغة والمعنيين بشأنها من هذه الظاهرة المدمرة؟؟ أين جهودهم وأفعالهم؟!

ويسوقنى هذا الحديث الى التحدث عن مدى حب العرب للغتهم، وبعبارة أدق مدى كره العرب للغتهم، مع إدراكى لمدى قسوة هذه العبارة، ولكن مظاهر النفور من اللغة واضحة وضوح الشمس، ومنها البعد عن التحدث بالفصحى حتى فى المواضع التى يجب فيها التحدث بها، ربما السبب فى هذا هو عدم إتقانها بشكل يصح معه استخدامها بطلاقة، وأبرز مظاهر هذا النفور هو الفرانكوأراب، فهل هناك شكل من النفور أقرب من لفظ حروف اللغة؟!! ولعل طريقة تعليم اللغة العربية فى المدارس منذ الصغر هى السبب فى هذا النفور، فيشب الطفل محبا للانجليزية أو غيرها واجدا فيها اللغة الأرقى لارتباطها برقى شعوبها فى ذهنه مما يشكله الغزو الثقافى من الأعمال الفنية الأجنبية كالمسلسلات والأفلام والأغانى، ويراها اللغة الأعذب على اللسان، فيستعذبها أكثر ويرى أن فى إتقانه لها تميزًا له عن أقرانه، علاوة على ذلك فإنه يرى فى العربية غلظة وجمودًا، فينفر من الشعر ويستصعب نطقه، غير أننا لو نظرنا للغة بعين أخرى، بعين المتعمق الواعى الذى يعرف قيمة هويته، سنرى أن العربية هى لغة العذوبة كل العذوبة والرقة كل الرقة، ويبرز هذا الشعر العربى على مر العصور، وكافة ألوان الأدب، فما أطيبها على الاذن! وما أعذبها على اللسان! لغتنا الجميلة، لغتنا العربية، فلو أدركنا قيمتها لارتمينا فى أحضانها عشقًا، وحمدنا اللّه على أننا أصحاب هذه اللغة، وأعددنا العدة والعتاد لمواجة كل أشكال هدمها.

إن حفظ هذه اللغة ليس مرهونًا بنا، إنها محفوظة بحفظ اللّه

- جل وعلا - لها فى كتابه الكريم، إذ قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [الحجر: ٩] فغلبة العربية في هذا الصراع اللغوى أمر محتوم، ولكن هذا لا يجعلنا نغفل عن دورنا فى حفظها ورفعة شأنها، ويكفينا فخرا ومتعة أننا نحافظ عليها، ففى حفظها حفظ لهويتنا العربية، وفى رفعتها رفعة لشأننا كعرب، وفى نصرتها احترام لنا ولماضينا ومستقبلنا.



